مذبحـــة الأبرياء
في قرية دير ياسين

للأستاذ على محمد سرطاوى

تقع قرية دير ياسين البالغ عدد سكانها (٧٠٠) نسمة ، غربى بيت المقدس ، بين المستعمرات اليهودية ، وكانت تعيش مع اليهود على أحسن ما تكون الصداقة ، ولم يعتد أحد من سكانها على أحد من اليهود .

ويوم كانت البلاد تشيع ابنها البار ، وبطلها العظيم ، الشهيد عبد القادر الحسينى ، بطل القسطل ، إلى مثواه الأخير ، انقضت جموع غفيرة من اليهود المسلحين على تلك القرية وأمعنت فى السكان الأمنين قتلا وذبحاً : فبلغ عدد القتلى (٢٥٠) قتيلا . وكان من بينهم (٢٥) امرأة عاملا ، (٥٠) امرأة مرضعا ، و (٦٠) امرأة أو فتاة ذبحن ذبح الخراف فى أفظع مظاهر القسوة . ثم جمعوا (١٥٠) امرأة وبعد أن مزقوا ملابسهن ، واعتدوا عليهن ، أركبوهن سيارات مكشوفة ، وطافوا بهن الأحياء اليهودية . وكان الجمهور الصهيونى المتمدن المهذب يرجمهن بالحجارة ويبصق عليهن ، ويشتم دينهن ، ونبيهن ؛ والجلادون واقفون فوق رؤوسهن ، يتباهون بهذه البطولة ، والجمهور يهتف لهم ، ويطيل التصفيق ، حتى إذا ما أتعبهم الطواف بهن ، أوصلوهن إلى طرف الأحياء العربية ، وأخذوا يقذفونهن إلى الأرض ، ويطلقون الرصاص فوق رؤوسهن كبرا وجبروتاً وإرهاباً !

والذى يتراءى أن الباعث النفسى الذى يحرك هؤلاء الناس ، إلى أعمال وحشية من هذا النوع ، لا يعود فى أصله إلى وطنية صحيحة ، ورغبة صادقة فى العيش بسلام فى جزء من الأرض ، وإنما يعود إلى شعور هذه الطائفة ، أفراداً وجماعات ، بالعجز والجبن ، والبعد عن الرجولة والشجاعة ، لأن الرجل الشجاع لا يستبيح لنفسه أن يقتل طفلا أو امرأة فى مثل هذه السهولة ، ثم يتباهى بما عمل من بطولة ، وبما صنع من معجزات .

والتاريخ الحافل بالاضطهاد الذى ذاق مرارته اليهود ، فى الزمن البعيد والقريب ، كان كافياً ليترك فى أعماق نفوسهم ثورة جامحة مدمرة ، على أى عمل يقترف على أيديهم ، أو بسببهم ، يتصل بالأساليب التى اضطهدوا بها ، لو كانت لهم ضمائر تتعشى فيها الكرامة الإنسانية .

والذى ينشد الحرية والاستقلال لا يطلبهما عن طريق محاربة استقلال الآخرين وحريتهم . وإنسان من هذا النوع خليق بأن يحرر نفسه من ذل الزمن ، وأن يتحرر من القيود والنزعات الهمجية التى لا تسيطر إلا على الشعوب الساذجة التى لم تنل قسطاً من يقظة الضمير ، قبل أن يرفع عينيه إلى مصادر النور !

وليس مقياس مدنية شعب من الشعوب ، هو مقدار ما يملك من قوة مادية ، وإنما هو مقدار ما يملك من قوة روحيه تدفعه إلى حب الخير ، وإلى التمرد على الظلم فى جميع صوره ومظاهره ! والعقبات الزمنية التى يقف أمامها شعب من الشعوب فى طريق سيره نحو الأبد المجهول ، ليست إلا اختياراً عملياً ، يقدمه ذلك الشعب للحياة ، لنرى مقدار ما فى طبيعته من حب للشر أو الخير ليمنحه التاريخ الشهادة التى يستحقها .

ولقد يخدع شعب من الشعوب نفسه ، ويدور حول الحقائق ويتحالل من شخصيته الصحيحة فى سيره مع تيار الحياة ، ولكنه لا يلبث أن يعود إلى قواعد نفسه مهزوماً مدحوراً ، كما يعود إلى نفسه وطبيعته المجرم الأفاق الذى يتظاهر بالورع المزيف ، والتقوى التى ليس لها فى حسه وجود .

ولقد كان الطموح الجنونى ، فى الأمس القريب ، ألمانيا والعالم أجمع ، ضحايا ، وآلاما ، ومتاعب ، كانت نهايتها انهيار هتلر ونظامه ، ومن ورائهما ألمانيا العظيمة ، تلك الأمة التى دمرها ذلك الطموح ، وجرعها مرارة الذل والخضوع .

واليهود ، وهم حفنة فى حساب العدد ، يطمحون إلى السيطرة على سبعين مليوناً من العرب ، بانتزاعهم فلسطين ، وهى قلبهم الخفاق ، غير مقدرين النتائج الوخيمة التى ينطوى عليها هذا الاندفاع الجنونى .

والفظاعة التناهية ، فى صور القسوة والبربرية والهمجية ، التى يعتدون بها على النساء والأطفال والشيوخ ، حتى على جثث الشهداء ، سياسة يحسبون أن اتباعها يرهب العرب ويوصلهم إلى ما يريدون منهم . وقد نسوا أو تناسوا ، أن العرب أمة عريقة فى المجد ، شديدة البأس ، لا تلين لأساليب العنف ، ولا يزيدها ذلك إلا عنفواناً وصبراً وجلداً وتصميما على الأخذ بالثأر ، مهما